الفصل الأول

البابا شنودة .. قصة حياة

١ نظير جيد .. الإنسان

٢ أنطونيوس .. الراهب

٣ البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة القبطية

obeikandl.com

obeikandl.com

نظير جيد .. الإنسان

قصة حياة البابا قصة مثيرة وتستحق التسجيل ..

والبابا شنودة لا يحب أن يتحدث كثيرا عن حياته الشخصية ، ولا يشير إلى فترة ما قبل الرهبنة إلا بمرور عابر ، ومع ذلك فقد ظل الفضول يدفعنى سنوات لأن أبحث عن الصفحات المطوية منذ الطفولة ، وكثيرا ما سألت : ما هى الأسباب التى تدعو رجلا شديد الذكاء ، ولديه كل هذه القدرات والمواهب ، لكى يترك العالم ، ويعطيه ظهره ، ويحمل حقيبته يوما دون سابق إنذار ، ليدخل الدير ، ويمر بطقوس الموتى ليخرج من الدنيا وما فيها ، ويتنازل عن اسمه ليصبح له اسم جديد كلما حصل على رتبة جديدة فى الرهبانية .. كما يتنازل عن طموحاته الشخصية ، وعلاقاته الأسرية ، ويختار حياة خشنة ، يدرب فيها نفسه على الحرمان ، وينقطع للعبادة وخدمة الناس ، ولا شيء غير ذلك .

وكثيرا ما سألت : من أى أسرة خرج هذا الرجل الذى يتمتع بقوة الشخصية ، والقدرة على القيادة والتأثير فى الناس ؟ .. وما هى الخبرات والتجارب التى مرت به وكوّنت هذه الشخصية .. ؟

ومن خلال لقاءاتى العديدة مع البابا شنودة على مدى عشرين عاما استطعت أن أجمع عبارات من أحاديث البابا معى ، ومن أحاديث الذين عرفوه فى بعض مراحل حياته ، تكفى لتعرف منها من هو البابا شنودة الإنسان .

أول مفاجأة لى أن عرفت أنه لم ينشأ فى أسرة فقيرة ، بل بالعكس كان من أسرة من أثرياء الصعيد بالمقاييس التى كانت سائدة فى أوائل القرن حين ولد . فقد ورث والده جيد روفائيل ١٢٠ فدانا فى قرية سلام مركز أسيوط ، وكان جده لأبيه عمدة القرية يملك ٥٠٠ فدان من أجود أراضى الصعيد . وكانت والدته (بلسم جاد) من أنبوب الحمام تملك أرضا ورثتها عن والديها تزيد على ٣٠ فدانا .. ومن كان يملك كل هذه المساحة من أجود الأراضى الزراعية فى الصعيد كان يعتبر من الطبقة البرجوازية فى ذلك الوقت .

ويقول البابا : لم أكن أعانى الفقر فى طفولتى .. ولكنى ظللت أشعر بشعور الفقراء فى كل مراحل حياتى !

وأول ما نقف عنده فى حياته هو لحظة ميلاده يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٢٣ . فلم تكد الفرحة بقدومه تملأ البيت حتى أصيبت الأم بحمى النفاس ورحلت فجأة دون أن ترضع طفلها .

وهكذا كانت لحظة وصوله إلى الحياة مقرونة بالحرمان من نهر الحب الذى يرتوى منه الأبناء فى طفولتهم . وكان طبيعيا أن انشغلت الأسرة بحادثة الموت أكثر من انشغالها بالميلاد والمولود ، حتى أن أحدًا لم يتذكر أن يسجل المولود فى سجل المواليد ، ولذلك لم تكن له شهادة ميلاد مما سبب له مشاكل فى المدارس إلى أن تم قيده من « سواقط القيد » بعد سنوات طويلة ، وحين استرد أهل البيت أنفاسهم كان شاغلهم هو : من يرضع الطفل الصغير ؟ .. وبعدها بحثوا له عن اسم فاختاروا أن يكون اسمه « نظير » .. نظير جيد .. وكانت أول سيدة ترضعه إحدى الجارات

المسلمات شاركت فى العزاء .. وحملت الطفل بينما كان الجميع فى دوامة الحزن والمفاجأة .. ولذلك يقول : حنان الأم الذى فقدته من اللحظة الأولى وجدته فى كثيرات من المسيحيات والمسلمات .. ! وبعد ذلك تولت شقيقته الكبرى المتزوجة إرضاعه ، إلى أن استطاع الأب أن يدبر أمره ويستأجر له المرضعات .

هكذا كانت البداية . ولابد أن هذا اليوم ظل غائرا فى أعمق الأعماق ، وما تبعه بعد ذلك ولسنوات طويلة من نظرات الإشفاق على الطفل « اليتيم » .

كانت الأسرة تتكون من خمس شقيقات متزوجات ، وشقيقين : الأكبر « روفائيل » ، ويليه « شوقى » . وعين الشقيق الأكبر موظفا فى وزارة المالية فى دمنهور ، فانتقل من الصعيد إلى المدينة الجديدة فى الوجه البحرى ومعه زوجته وشقيقه شوقى والطفل الصغير « نظير » لترعاه زوجة الأخ ، التى يذكرها دائما على أنها كانت أما بحق إلى أن وصل إلى سن المدرسة ، فدخل مدرسة الأقباط الابتدائية بدمنهور ، ولفت الأنظار بتفوقه ، وقوة ذاكرته ، وقدرته على الحفظ والتعبير ، وكان ترتيبه الأول دائما . ومازال البابا شنودة يذكر زوجة أخيه (جوليا حليم) وكيف عوضته عن فقدان الأم ، ويذكر أنها كانت تسهر الليالى إلى جانب سريره إذا مرض ، وكيف كانت تظل واقفة فى الشرفة تنتظر عودته من المدرسة .. ولم تفرق زوجة الأخ بين شقيقى زوجها الصغيرين وابنها « عادل » .. وظلت تعتبره ابنها وتعامله كابن إلى أن رحلت فى سنة ١٩٦٧ ، وحتى الآن تمر سحابة الحزن بوجه البابا شنودة كلما تذكر زوجة أخيه التى وجد فيها الأمومة . بكل مشاعرها وحنانها . وككل يتيم ينشأ صغيرا وسط الكبار ، ويشعر

أنه محتاج إليهم دائما ، وأنهم أصحاب فضل عليه ، كان يتعامل مع إخوته الكبار باحترام كبير .. شقيقه الأكبر « روفائيل » لا يناديه إلا ويسبق اسمه لقب « الأستاذ » وشقيقه الثانى لا يناديه إلا ويقول له : « أخويا شوقى » احتراما لفارق السن بينهما ، فهو يكبره بخمس سنوات .

يقول البابا : كانت فى بيتنا مكتبة كبيرة وكان والدى مدمنا للقراءة . وتأثرت به فأصبحت أنا أيضا مدمنا للقراءة وبقيت على ذلك بعد أن تنقلت مع شقيقى عادل وحتى اليوم .

بعد سنوات انتقل الأخ الأكبر للعمل فى بنها ، فالتحق نظير بمدرسة الأمريكان ببنها ، ثم انتقلت الأسرة مرة ثالثة إلى القاهرة حيث وصل الأخ الأكبر إلى وظيفة مهمة فأصبح رئيس قسم بوزارة المالية ، وسكن فى شبرا .ويقول البابا عن هذه الفترة : إنه عاش فى أجواء ثورة ١٩١٩ .. المسيحيون والمسلمون وحدة واحدة .. ألمع وزراء الوفد مكرم عبيد .. ورئيس مجلس النواب ويصا واصف باشا .. وهكذا .

وفى القاهرة تعرف نظير جيد على حياة العاصمة مما كان بعيدا عنه فى دمنهور وبنها .. عرف السياسة والأحزاب ، ويقول عن تأثير الجو السياسى فى هذه السنوات بما فيه من حريات وصراع الأحزاب : ولدت مع دستور ١٩٢٣ ، ثم عرفت الطريق إلى الصحافة ، والجمعيات ، والتقيت بمدرسين أثروا فى تفكيرى فى فترة التكوين فى مدرسة الإيمان الثانوية بشبرا ، وفى هذه الفترة ظهرت مواهبى فى حفظ الشعر ، وبدأت أجرب نظم الشعر أيضًا ، وازدادت فىَّ القدرة على القراءة لساعات طويلة دون كلل ، كما تعمقت فىّ الرغبة فى أن أجلس مع من هم أكبر سنا منى وأدخل معهم

فى حوارات وأتعلم منهم ، وأهتم بحفظ خطب الزعيم مكرم عبيد ومرافعاته الشهيرة فى المحاكم وكانت مرافعاته أدبا رفيعا .

ونتيجة لذلك اتسعت الفجوة بينه وبين أقرانه ، فلم يعرف فى صباه ولا فى طفولته لهو الأطفال أو عبث الشباب . كان متفرغا للقراءة والأدب والشعر . وينشر أشعاره وقصصه فى المجلات المدرسية ، وكان مشهورا بكتابته الشعر الفكاهى الذى تظهر فيه روح المرح التى لم تفارقه حتى الآن ، ففى أكثر المواقف جدية يحرص على إلقاء فكاهة تخفف جدية الموقف وتعيد الضحكة إلى الجميع ، ويضحك هو أيضا للنكتة الحلوة .

فى السنة الرابعة فى المدرسة الثانوية حفظ عشرة آلاف بيت من الشعر ، وكان من بينها ديوان قرأه سنة ١٩٣٩ بعنوان « دموع الشعراء على سعد زغلول » يضم قصائد رثاء لسعد زغلول ، وما زال يحفظ القصائد كاملة ويستعيد أبياتا من قصيدة تقول :

قالـوا : دهت مصر دهيـاء فقلت
لهم هل غُيِّض النيل أم زُلزل الهرم ؟
قالوا : أشد وأدهـى قلت ويحكم
إذن فقد مات سعد وانطوى العلم

يقول البابا :

فى هذه الفترة أحببت شوقى وحفظت مسرحياته الشعرية وقصائده ، وكانت مسرحية « مصرع كليوباترة » مقررة علينا وطُلب منا فى الامتحان أن نجيب عن أسئلة من هذه المسرحية فأجبت عنها بثلاثمائة بيت من الشعر .. كنت أحفظ كل ما يعجبنى من الشعر ولا أنساه أبدًا .

وانشغل نظير جيد بما كان يملأ أجواء القاهرة من أحاديث عن الرشوة

والفساد فى الحكومات الحزبية ، وبدأ إعجابه بمكرم عبيد وهو يقف خطيبا فى حشد من الجماهير فيسيطر عليهم ببلاغته وسحر بيانه ، ويلقى بين الحين والحين أبياتا من الشعر ، أو آيات من القرآن الكريم ، ارتجالا ، دون أن ينظر فى ورقة . وازداد انشغاله بالشعر والخطابة والحياة العامة بعد أن أصبح لامعا ومعروفا بين زملائه وأساتذته ، وربما كان مكرم عبيد هو مثله الأعلى فى هذه الفترة . لكنه أراد أن يصقل موهبته فى كتابة الشعر ، فقضى شهور إجازة صيف كاملة يتردد على دار الكتب فى باب الخلق ليعلم نفسه عروض وبحور الشعر ، ويقرأ كل ما كتب فى الشعر والشعراء ، وتختزن ذاكرته قصائد كاملة للقدامى والمحدثين ، حتى علّم نفسه بدون معلم ، واكتشف أن الكتب والمكتبة هما حياته ، ويبقى هذا الشعور معه طوال حياته ، فلا نجد أمرا غريبا أن يصبح مسئولا عن المكتبة فى الدير بعد ذلك ، أو أسقفا للتعليم . ومسئولا عن الكلية الاكليريكية .. فهو مرتبط بالكتب والثقافة ، والفكر والتعليم ويجد فيها المتعة والراحة .

وكان ميلاده كشاعر فى إحدى الحفلات المدرسية حين وقف فى جمع من كبار المسئولين فى وزارة التعليم والمديرية التعليمية ينشد قصيدة من تأليفه بصوت قوى مؤثر :

تريد الكنانة عزما قويا — شبابا يضحى وشعبا جديدا

شبابا يعيد بناء الجدود — يعيش شريفا يموت شهيدا

من الآن هيا لنبنى اتحادا — وننسى العداء وننسى الحقودا

إذا ما أراد الدفاع جحيما — لحرق العدو نكون وقودا

أهذى الجموع تعالوا سويا — إلى سلم المجد نرقى صعودا

ومن يومها أصبح « شاعر المدرسة » ثم شاعر الطلبة ..

obeikandl.com

لكنه بالإضافة إلى تفوقه فى الشعر والخطابة – كما قال عنه أحد زملاء المدرسة الثانوية الدكتور حلمى لبيب – كان معروفا بالتفوق العلمى ، وكان المدرسون والتلاميذ يسمونه : نظير كليفر Clever أى التلميذ المتفوق أو المجتهد . لأنه كان يذاكر دروسه أولا بأول ولا يكتفى بالكتب المدرسية ويبحث عن كتب ومراجع يتلمس فيها مزيدا من المعلومات .

فى هذه المرحلة بدأ يرتبط بالكنيسة .. ويخدم فى مدارس الأحد فى كنيسة انطونيوس وعمره ١٧ سنة ، وفى المسابقات الثقافية التى كانت مدارس الأحد تنظمها كان يفوز بالمركز الأول ، وكان شقيقه شوقى الذى يكبره قد بدأ هو الآخر فى إلقاء المواعظ فى الكنائس والجمعيات القبطية ، ولاشك أن ذلك كان عاملا للجذب نحو العمل الدينى . خاصة أن شوقى أصبح قسيسا بعد ذلك .

وفى امتحان الثانوية العامة وكان اسمها « التوجيهية » دخل الامتحان الشفهى فى اللغة العربية ، ولفت نظر الممتحن أن التلميذ نظير جيد ينطق اللغة العربية نطقا سليما ، فأعطاه قصيدة وسأله :

– هل تعرف من أى وزن هذه القصيدة ؟

فأجابه على الفور دون تفكير . فدهش الممتحن وقال له :

– هل تحب الشعر .. ؟

فأجابه :

– نعم وأقرضه .

فطلب منه الممتحن أن يلقى قصيدة من شعره فأعجبته فطلب المزيد ، حتى مر الوقت دون أن يشعر ، وأخيرًا قال له الممتحن بشيء من التحدى :

– المقرر عليك جزء من قصيدة طويلة .. هل تعرف أبياتًا من أولها .. ؟

فأجابه :

– نعم .. أعرف أولها ..وأستطيع أن ألقيها من آخرها أيضًا .. !

ولم تستطع لجنة الامتحان أن تخفى إعجابها بهذا التلميذ المعجزة .

وهكذا بدأ بريق الموهبة يتألق .

□□□

بعد التوجيهية بتفوق اختار نظير جيد أن يدخل كلية الآداب ، ولأنه يحب دراسة التاريخ ، ويعرف أسماء مشهورة من أساتذة التاريخ فى الكلية ، فقد اختار قسم التاريخ ، ولفت أنظار الأساتذة الكبار بقدرته على إعداد بحوث تاريخية ممتازة تتضمن تحليلات خاصة به تؤكد أن له استقلالية فى التفكير وقدرة خاصة على استنطاق وقائع التاريخ ..

يقول البابا :

– أحببت التاريخ المصرى القديم والتاريخ الإسلامى ، وكنت أجيد اللغة الانجليزية فساعدنى ذلك على الاستفادة بالمراجع الأجنبية فى دار الكتب ومكتبة الكلية وكنت أحب أن أترجم بعض الفصول بكاملها ، وتعلمت أن أعتمد على المراجع العربية الأصلية ، وساعدنى ذلك على تكوين ثقافتى ، وكنت أعد لنفسى تدريبات خاصة فى البحث العلمى لكى أبذل مجهودا أكبر فى القراءة ، ولاحظت أن الطلبة يستعيرون من زملائهم الأبحاث التى

سبق أن قدموها لأساتذتهم لينقلوا منها ، ولكنى كنت أحرص على اختيار موضوع جديد لم يسبق أن كتب فيه أحد وليس فى الكتب المقررة عنه سوى صفحة أو صفحتين لكى ألزم نفسى بالبحث فى المراجع الأساسية ، فاخترت مثلا موضع النزاع بين فرنسا وبريطانيا على استعمار الهند ، وقال الأستاذ عن هذا البحث : إنه أفضل بحث قرأه منذ أعوام ، وطلب منى أن يأخذه ليحتفظ به ، وكان هذا الأستاذ هو الدكتور أحمد عزت عبد الكريم . وفى التاريخ الإسلامى كنت أحصل دائما على تقدير « ممتاز » . وكانت اللغة اللاتينية صعبة ولا تفيد فى دراستنا ، ولكنى أخذتها كنوع من تدريب الإرادة فتفوقت فيها أيضا .

يقول البابا :

إننى أدين بالفضل لأساتذتى فى كلية الآداب لأنهم علمونى أصول التفكير العلمى .

ويقول زملاء الدراسة عنه : إنه فى هذه الفترة عرفه زملاؤه على أنه صديق الجميع . من يجلس معه يرتح فى الحديث معه والإفضاء إليه بما لديه من مشاكل ، فيتعاطف معهم ، ويستمع بصبر ، ويفكر معهم فى مشاكلهم ، ويساعدهم على أن يجدوا حلولا واقعية لها .. وبدأت الشخصية « الكارزمية » تظهر مبكرا .

□□□

يقول البابا :

وحين جاء وقت الخدمة العسكرية التحقت بكلية ضباط الاحتياط .. قبلها كنت قد التحقت بالقوات المسلحة فى التدريب العسكرى متطوعا

لمدة ثلاث سنوات . وكنت أول الخريجين من ضباط مدرسة المشاة سنة ١٩٤٧ . وكان قائد الجيش الاحتياطى القائمقام محمد بك بهجت ، وكان رئيس مدرسة المشاة ضابطا يدعى الارناؤوطى ، وفى شهر رمضان كنت أنا الذى أشرف على إعداد الإفطار والسحور للطلبة المسلمين . ومن الذين كانوا تحت قيادته فى هذه الفترة الأستاذ محمد سعيد زايد المشرف على البرامج العسكرية فى الإذاعة ، وحين يتذكر أيامه مع الضابط نظير جيد يقول : إنه لا ينسى كيف كان يؤجل طعام العشاء الخاص به لكى يتناول السحور مع جنوده ، وكيف كان يهتم بزيادة الوجبات فى شهر رمضان ويحتفل به معهم .. ! وأنا الذى كنت أوقظهم فى السحور . وقد أفادتنى الحياة العسكرية فى تعلم معانى : الجدية ، والنظام ، والالتزام . وأذكر أن الطلبة احتجوا يوما على بعض الأمور فجاء محمد بك بهجت وقال لهم كلاما قاسيا ، ثم كان لابد أن يتكلم أحد الضباط المحتجين ليعرض مطالبهم فاختارونى للقيام بهذه المهمة ، وبدأت كلمتى بأن قلت : إن أعظم ما تعلمناه فى العسكرية هو الطاعة وبدونها لا يكون الجيش جيشا ، فانبسطت أسارير محمد بك بهجت وهز رأسه وقال : تمام .. تمام ..وانتاب زملائى ذهول وحسبوا أنى تخليت عنهم .. وقال لى محمد بك بهجت :

– أكمل يا بنى ..

وأكملت فقلت :

– يا سعادة القائد ، لا جيش دون طاعة ، ولذلك من الغريب أن يصدر جلالة الملك أمرًا للجيش فلا تطيعونه ولا تنفذونه .

وظهر الغضب على محمد بك بهجت وقال :

– ماذا تقول .. ؟

– قلت :

– لقد صدر مرسوم ملكى بحقوقنا ولم ينفذ .

ولم يقل محمد بك بهجت كلمة ، وانتهى الموقف ، ونفذ مطالبنا لأنها كانت عادلة .. تنفيذ مرسوم ملكى صدر ولم ينفذ ..

فى هذه السنة تخرجت بترتيب « الأول » وأصبحت أحمل رتبة « ملازم » .

وفى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ شارك نظير جيد كضابط مقاتل .. وعاش فى الخنادق مع الضباط والجنود .. وواجه العصابات الإسرائيلية : أراجون والهاجاناه وغيرهما وعرف الكثير عنها ودرس الأسلوب الإسرائيلى فى القتال وطريقة الإسرائيليين فى التفكير .. كما عاش كضابط فى الحرب تجربة سقوط الزملاء شهداء دون أن تفرق قنابل العدو بين مسلم وقبطى ، وحين تسيل الدماء وتتناثر الأشلاء لا تعرف أين المسلم وأين القبطى .

قبل ذلك بدأ الجميع يلاحظون أن نظير يقضى إجازات الصيف فى أحد الأديرة ، ويقول لمن يسأله : إنه يجد الراحة فى الخلوة الروحية والتأمل واكتشاف الذات . وعندما كان فى السنة الثالثة بكلية الآداب التحق بالكلية الاكليريكية فى القسم الليلى الذى كان يدرس فيه الطلبة وخريجو الجامعات . وبعد حصوله على الليسانس من كلية الآداب سنة ١٩٤٧ اشتغل بالتدريس . عمل مدرسا للغة العربية فى مدرسة انجليزية لطلبة السنة النهائية من المرحلة

الثانوية ، وفى الوقت نفسه كان يعلم اللغة الانجليزية لتلاميذ مدرسة ابتدائية ، ثم التحق بوظيفة مدرس فى وزارة التربية والتعليم فى إحدى مدارس بنها . ليؤكد أنه يستطيع أن يجمع بين الوظيفتين ، ولكنه بعد فترة اكتشف فى نفسه شعورا عبَّر عنه بقوله : « نحن نعطى الله فضلات القلب والوقت ، والله يريد الوقت كله .. والقلب كله » .

□□□

تفرغ نظير جيد للخدمة فى بيت مدارس الأحد بالجيزة ، والإشراف على الملجأ التابع لمدارس الأحد أيضا ، وكان مشهورا عنه فى هذه الفترة أنه عدو لشيطان اسمه « شيطان الرصيد » . كان يقول دائما : إن الناس يحرصون على الاكتناز ، ويريدون تكوين « رصيد » ويفرحون كلما ازداد هذا الرصيد ، بينما هذا الرصيد شيطان ، لأنه يمنع المال والخير عن مستحقيه ، ويحرم المحتاجين لا لشىء إلا لكى يكدس الذين يملكون المزيد والمزيد .. ولو أن كل إنسان أعطى للفقراء والمحتاجين فلن يحتاج أبدًا ، لأنه سيجد من يعطيه إذا احتاج ، وبذلك يكون الرصيد الحقيقى هو ما أنفقه وليس ما اكتنزه ، وكل قرش ينفق فى الخير مثل الحبة التى تلقى فى الأرض الخصبة ، أرض الله ، فتأتى بحصاد كثير .. أكثر آلاف المرات مما لو أضيفت إلى « الرصيد » .

وبدأ شقيقاه يلاحظان بعد ذلك أن سلوك شقيقهما يتغير تدريجا .. بدأ يقتصد فى طعامه ، ويتخلى عن الزينة والملابس الأنيقة ، ويقرأ كثيرا فى الكتب الدينية ، وكان الجميع يعيشون معا .. الأخ الأكبر روفائيل وزوجته وأولاده ، والأخ الثانى شوقى وزوجته ، ونظير .. ويقول عن

هذه الفترة : « كان يذهب كل واحد إلى خاصته .. أما أنا فأذهب إلى حجرتى التى كانت أشبه بالقلاية (الخلوة التى يعيش فيها الرهبان) » .

. ودخل الأخ شوقى فى سلك الكنيسة وأصبح « القمص بطرس جيد » .

أما نظير جيد فإنه ولنشاطه الملحوظ فى مجالات عديدة أصبح سكرتيرا للجنة الدائمة لمدارس الأحد ، ورئيس تحرير مجلة مدارس الأحد .

وكما ينفجر البركان فجأة .. وفى لحظة خاطفة مثل البرق .. أو كما يحدث الزلزال دون مقدمات .. جاء صباح حمل فيه نظير جيد حقيبته وكتبه وخرج من البيت إلى الدير .. وكان ذلك يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٤٥ .

وعرف أشقاؤه أنه لن يرجع إلى دنياهم أبدا ..

obeikandl.com

أنطونيوس .. الراهب

الراهب حين يدخل سلك الرهبنة يُطَلِّق العالم ، يموت ويحمل أكفانه ، لكى يولد من جديد إنسانًا آخر ، وكذلك البابا شنودة .

عاش فى دير السريان فى صحراء وادى النطرون .

وأصبح اسمه « الراهب انطونيوس » .

وظل الجميع ينتظرون منه خطابا ..

بعد شهور جاءهم أول خطاب من أربع صفحات ..

بعد شهور أخرى جاء الخطاب الثانى من ثلاث صفحات ..

ثم جاء الخطاب الثالث من صفحة واحدة ..

ثم جاء خطاب أخير من سطور قليلة يعتذر فيها عن عدم الكتابة بعد ذلك وختمها بعبارة لشقيقه شوقى « .. إن لقاءنا أرجو أن يكون فى السماء .. » .

وهكذا انقطعت رسائله . ثم انقطع عن لقاء أقاربه حين يزورونه فى الدير ، وبعد فترة قصيرة جاءت الأخبار بأنه حمل كتبه وزاده القليل .. وذهب إلى مغارة تبعد عن الدير خمسة كيلومترات ، وانقطع فيها عن حياة الناس ، وتفرغ للوحدة ، والتأمل الروحى . وظل فى هذه المغارة

٦ سنوات تقريبا ، لا يتحدث فيها إلى انسان . إلا حين يأتى إليه كل أسبوع أو أسبوعين مندوب من الدير يحمل قليلا من الطعام والماء وكثيرا من الكتب .

ويقول البابا شنودة : إن هذه كانت أجمل سنوات حياتى وأكثرها خصوبة وإحساسا بالطمأنينة والراحة النفسية .. وخلال سنوات العزلة هذه قرأت كل الكتب التى أردت قراءتها ، ولكن أسقف الدير طلب إلىَّ العودة لكى أتولى النشاط الثقافى والإشراف على المكتبة وتنظيم المخطوطات التاريخية فى الدير .

وانشغل بحياة الدير إلى حد أنه لم يعد يريد أن يرى أحدًا من دنيا الناس خارج الدير ، حتى أن شقيقه شوقى فكر مرة فى أن يزوره ، واحتال على ذلك بأن اشترك فى رحلة مع مجموعة كبيرة ، وعند بوابة الدير المغلقة ظهر أن الرحلة لم تحصل على تصريح بالزيارة ،وتصور المشرف على الرحلة أن وجود شقيق واحد من رهبان الدير سيكون شفيعا لهم ، فلما سمع الراهب انطونيوس بما حدث دخل القلاية « الخلوة » وأغلق بابها ، ولم يره أحد ..

يقول البابا شنودة : كنت أتمنى أن أبقى فى الدير ولا أخرج منه أبدًا .

وأصبح الراهب أنطونيوس قسيسا سنة ١٩٥٥ ، ثم نال رتبة « القمص » سنة ١٩٥٦ ، ثم اختاره البابا كيرلس السادس سكرتيرا خاصا وممثلا له فى لجان المجمع المقدس ، ولكنه رجع إلى الدير مرة أخرى للوحدة والتأمل الروحى والقراءة ، وكان من مهامه استقبال الرحلات القادمة إلى الدير وإلقاء موعظة .

بعد فترة طلبه البابا كيرلس السادس ليعرض عليه أن يصبح أسقفا على الكلية الإكليريكية ، ولكنه رفض وقال للبابا : أنا لا أستحق .. أريد أن

أعيش فى البرية التى وهبت نفسى لها .. واستمرت المناقشة ساعتين ولم تفلح المحاولات لإقناعه بترك الدير والعودة إلى القاهرة ..

والغريب أن البابا كيرلس السادس كان مصمما على أن يجعله أسقف الإكليريكية رغم أنفه . فطلب من أسقف الدير أن يصحبه لأخذ البركة من سيدنا البابا قبل أن يعود إلى الدير . وبعد أداء الصلاة انحنى الراهب انطونيوس على يد البابا ليقبلها ففوجئ بالبابا يضع يده على رأسه هو وأسقف الدير وقال له : « رسمتك يا شنودة أسقفا على الإكليريكية .. » .

وهكذا أصبح الراهب انطونيوس الأسقف شنودة رغم أنفه .

يقول الذين حضروا هذا المشهد : إن القمص انطونيوس الذى أصبح الأنبا شنودة بكى فى هذه اللحظة بكاء شديدا ويبدو أنه فكر فى الهرب ، حتى أن البابا كيرلس السادس قال له : لا تغادر المكان حتى الرسامة .. وكان هذا أمرًا لا يعصى .. فلم يستطع « الأنبا شنودة » أن يغادر المكان ، واستسلم للأمر الواقع .. وهكذا حدث التحول الكبير فى حياته دون أن يطلبه أو حتى يفكر فيه .

وكان ذلك فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ حين أصبح الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية ومسئولا عن الكلية الإكليريكية .

وفى عهده تضاعف عدد الطلبة فى هذه الكلية من ١٠٠ إلى ٢٧٠ طالبا ، وفى القسم الليلى من ٣٠ إلى ٣٠٠ ، وأحدث انقلابا فى نظام الكلية حين سمح للفتيات بالالتحاق بها فى القسم الليلى ، وخاض معركة من أجل تعليم الفتيات ، ثم خاض معركة أخرى حين فتح أبواب الكلية الإكليريكية لكل من يريد حضور المحاضرات بعد أن كانت للطلبة فقط ،

واكتشف الجمهور جاذبية محاضرات الأنبا شنودة فبدأ عدد الحاضرين يزداد حتى ضاقت بهم مدرجات الكلية ، فنقل محاضراته إلى الكاتدرائية ، وكانت محاضراته جديدة .. فيها معلومات كثيرة وإيجاز فى العبارة وبساطة فى التعبير لتناسب جميع المستويات ، ويبدو أن طبيعته وخبرته الطويلة فى التدريس وموهبته فى التعبير قد ساعدته على ذلك .

وتغير الحال ..

الشاب الذى كان يحب العزلة الكاملة أصبح وسط الناس . والراهب الهادئ الصامت أصبح مسئولا عن التعليم والوعظ والحديث فى كل الوقت ، وأصبح كما قال عنه أحد المعلقين « يجمع بين سمات الفلاح المصرى الأصيل وعقل الفيلسوف .. ويجمع بين الزهد والقيادة .. وبين الرهبنة ومتابعة التطورات الحضارية فى العالم .. وبين التواضع والجرأة ..فهو أول من قال : إن المسيحيين المصريين عرب ولابد من تأكيد عروبة المسيحية الشرقية .

ورغم ذلك لم تنقطع رحلة الرهبنة الهادئة للراهب أنطونيوس ، بل استمرت حتى بعد أن أصبح البابا شنودة ، فما يزال يقضى ثلاثة أيام على الأقل أسبوعيا فى دير الأنبا بشوى .. يخلو فيه إلى نفسه ويقضى فى مكتبته الهادئة ساعات طويلة . فهو يعتبر هذا الدير بيته الحقيقى ويشعر فيه بالحرية الروحية والراحة الكاملة وبالتحرر من دنيا الناس ليخلو إلى دنيا الله .

ويتولى البابا شنودة بنفسه رئاسة هذا الدير .. وهو المكان المفضل لديه ليعقد فيه لقاءاته المهمة مع الكهنة ومع أعضاء مجلس الكنائس العالمى ، وفيه يقيم الاحتفال السنوى بذكرى تنصيبه بطريركًا للأقباط الأرثوذكس .

فما هى قصة هذا الدير ؟

دير الأنبا بشوى هذا من أشهر الأديرة فى وادى النطرون .. ووادى النطرون فيه أربعة أديرة .. تاريخ هذا الدير يرجع إلى القرن الرابع الميلادى .. أنشأه الأنبا بشوى وكان تلميذا للقديس مكاريوس أحد زعماء النسك فى الوادى .. كان الأنبا بشوى مشهورا بشدة ورعه وتقواه ، وقد وهب شبابه للتعبد وأصبح ناسكا ذائع الصيت ، والتف حول صومعته كثير من التلاميذ شغفوا بحياة الرهبنة ..

ويحدِّثنا البابا شنودة عن هذا الدير قائلاً :

إن هذا الدير هو مكانى المفضل ، هنا أتفرغ للصلاة والعبادة والتأمل وأخلو إلى نفسى ، ولذلك فإننى أحرص على أن أقضى فيه ثلاثة أيام على الأقل كل أسبوع ، واضطر للذهاب إلى القاهرة اضطرارًا .. والوقت الذى أقضيه فى القاهرة أعتبره وقتا ضائعا .. مقابلات ، وتليفونات ، كلام .. كل ذلك يشغلنى ويبعدنى عن الجو الطبيعى الذى ألفته وأحببته هنا .. ولذلك عندما قرر الرئيس السادات تشكيل لجنة للقيام بعمل البابا ، وأصدر قرارا بعزلى اعتبرتها فرصتى التى كثيرا ما دعوت الله أن يتيحها لى ، فعكفت فى الدير استمتع بالوحدة والعبادة خصوصا وقد قضيت شهورا غير مسموح بأن يزورنى أحد من خارج الدير .. ولدى يقين لا يهتز بأن كل محنة تمر بالإنسان هى فى الحقيقة منحة من الله .. فقط إذا تأملها الإنسان جيدا ، فهى كالعملة ، تنظر إلى وجه فتراها شرا ، ولكن إذا أعطاك الله البصيرة فسوف تراها خيرا .. والعاقل يمكنه أن يستمتع ويستفيد من كل أزمة أو محنة تمر به ..

لحظة صمت .. اعتدنا على الصمت من قداسة البابا ، كما اعتدنا على التدفق والنبرة الهادئة فى حديثه ..

بدأ الحديث عن دير الأنبا بشوى ..

– كان هذا الدير صغيرا ومحدودا .. كان فيه ٦ من الرهبان فقط من كبار السن يحتاجون إلى من يرعاهم .. وكان الدير يملك ١٠٦ فدادين ، وكانت حديقة الدير عبارة عن فدان واحد فقط ، وكان فى الدير حمار واحد لشراء طلبات الدير ، وحين بدأ البابا شنودة الإشراف على تعمير هذا الدير الأثرى عام ١٩٧٢ بدأ بإنشاء بيت للخلوة خصص لإقامة الكهنة الجدد الذين يمكثون فترة الخلوة الروحية الأولى وهى أربعون يوما بالدير ، واستقبال الشبان الذين يريدون قضاء فترة روحية فى الدير ، وكان أول من اختاره البابا مشرفا لهذا البيت هو القس أرسانيوس الذى أصبح بعد ذلك الأنبا تادرس أسقف بورسعيد ، وكان يعمل مهندسا فى أمريكا ، ولكنه فضل حياة الرهبنة ، وترهب بالدير فاختاره البابا للإشراف الروحى والإدارى لهذا المبنى .

بعد ذلك أنشأ البابا شنودة فى الدير مبنى جديدا للضيافة من أربعة أدوار ، الدور الأول صالة كبيرة لاستقبال كبار الزوار ، وبجوارها صالة أخرى لضيوف الدير ، والدور العلوى مكتبة كبيرة وصيدلية خاصة بالدير ، أما الدور : الثالث فهو حجرات للضيافة والمبيت وملحق به مطبخ وحجرة للطعام ، والدور الرابع مخصص لسكن أسقف الدير . وفى أعلى المبنى صهريج كبير للمياه لتغذية الدير كله ، ومنارة عالية عليها صليب كبير يضاء ليلا ، وجرس ضخم .

وحين دخلت « قلاية راهب » وجدتها من حجرتين ودورة مياه وصالة صغيرة للاستقبال .. الحجرة الداخلية تسمى « محبسة » وفيها يختلى الراهب

للصلاة والتأمل الروحى ، ونوافذ القلاية والمجسة فى اتجاه بحرى قبلى لتكون مناسبة للتهوية فى الشتاء والصيف .

ويذكر للبابا شنودة أنه ضاعف أملاك الدير ، فاشترى ٣٠٠ فدان ضمت للدير ، وأكمل بناء السور المحيط بكل مساحة الدير ، وبه سبع بوابات كبيرة ، ولها منارات يعلو كل منها الصليب ، وجدد البابا الكنيسة الأثرية داخل الدير ، وكلف بذلك الفنان الدكتور ايزاك فانوس برسم أيقونات على الحائط الشرقى للكنيسة ، ومزرعة الدير أنشأها البابا شنودة على مائة فدان اشتراها عند الكيلو ١١٠ فى الطريق الصحراوى القاهرة – اسكندرية وتربى فيها الطيور والأبقار ، وفى المزرعة مجموعات من القلالى للرهبان وكنيسة ومعمل البان واستراحة ..

فى دير الأنبا بشوى أيضا مقر خاص يقيم فيه البابا وبجواره كنيسة ..

فى الدير أيضا مبنى كبير للمؤتمرات التى يحضرها رؤساء الكنائس ، ويضم هذا المبنى مساكن تكفى لكل رؤساء الكنائس ، وقاعة محاضرات كبيرة ، ومبنى للطعام ، وكنيسة خاصة يصلى فيها رؤساء الكنائس ، والقاعات مجهزة بأجهزة الترجمة الفورية والتسجيل ومكبرات الصوت .

فى الدير مولدات للكهرباء تكفى للإضاءة وإدارة الأجهزة وطلمبات المياه وورشة النجارة الكهربائية ..

وخارج الدير مبنى ضيافة للسيدات . وثلاثة مبانى ضيافة للرجال ، ومبنى لإقامة العمال الذين يعملون في الدير .

وداخل الدير ورشة نجارة مجهزة بأدوات حديثة لصناعة كل الأثاثات اللازمة للدير ولغيره من الأديرة والكنائس من المقاعد والمقصورات الخشبية والأبواب وغيرها ..

وفيه أيضا متحف يضم قطعا أثرية منذ مئات السنين .

وملحق بالدير محطة غسيل وتشحيم وتموين سيارات الدير وسيارات الزائرين .

ومخبز حديث يعمل بالكهرباء .

وورشة لإصلاح السيارات والمعدات الميكانيكية .

ومركز للسمعيات والبصريات وطباعة شرائط الفيديو والكاسيت .

ومعرض لبيع منتجات الدير من إنتاج الورشة والمزرعة ومشروبات مثلجة .

وحجرات للكشف الطبى مجهزة بأدوات طبية حديثة ويعمل فيها أطباء زائرون متطوعون .

قال قداسة البابا :

– كان هذا الدير على وشك الضياع من كل ناحية ، حتى أن رئيسه السابق أعلن فى سنة ١٩٦١ عجزه التام عن إدارته والصرف عليه ، وشكا الرهبان إلى البابا كيرلس السادس أنهم لا يجدون القوت الضرورى ، فأحيل الدير إلى رئيس دير السريان للصرف عليه ، فأنفق عليه وسدد ديونه ، ولكن إتماما للتعمير بقينا منتظرين معونة من فوق .. وخلال الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٩ تمت سيامة ٩٢ راهبا للدير .

مكتبة الدير أصبح فيها ٢٠ ألف كتاب .

وفى كل سنة يقام حفل كبير فى الدير يوم ١٨ يوليو وهو تاريخ رهبنة البابا شنودة ، ويحضر هذا الحفل جميع المطارنة والأساقفة فى كل الأديرة وأعضاء المجلس الملى وهيئة الأوقاف وعدد كبير من الشخصيات القبطية .

وفى ١٤ نوفمبر كل سنة يقام حفل أكبر يحضره الآلاف .. فهذا هو عيد تنصيب البابا .

وهكذا .. الدير عالم واسع .. أكبر مما يتصور من ينظر إليه من الخارج ..

obeikandl.com

obeikandl.com

البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة القبطية

قصة اختيار البابا شنودة تستحق أن تروى وتسجل بتفاصيلها .. لأنها كانت قصة مثيرة ..

ومكانة البابا ، أو البطريرك ، عند الأقباط ، مكانة تفوق الوصف ، فهو صاحب قداسة ، وهو ذو « الفم الذهبى » الذى ينطق بكلمات مثل الذهب الخالص ، وهو الرئيس الأعلى للكهنوت بدرجاته العديدة ، وله « الأبوة العليا » والسيادة فى كنيسة الله المقدسة ، الكل فى طاعته ، والكل تحت رقابته ، له السلطان أن يدين الخطاة ، وله السلطان أن يحكم باسم الله وهو الرقيب الأعلى ، وهو الربان الأعلى ، وهو المعلم الأعلى ، فالبابا رئيس الأساقفة ، له قدر من الكرامة يفوق الجميع .

وفى طقوس تتويج البابا ، حين يوضع التاج البابوى على هامته ساعة تنصيبه ، يخلع المطارنة والأساقفة تيجانهم اعترافا بسيادته عليهم جميعا وأنهم فى طاعته .

ويوم صعد البابا إلى المذبح ليتسلم الصليب وعصا الرعاية كان كبير الأساقفة يردد : تسلم عصا الرعاية من يد راعى الرعاة الأعظم يسوع المسيح لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم لتحييه ، فقد ائتمنك على نفوس الرعية .

ثم دقت الأجراس وارتفعت الصلوات أن يمنحه الله النعمة والحكمة ، وليشرق الله عليه بنور وجهه لكى يضىء قلبه بينبوع مجد الله ، فيعرف الأسرار الإلهية ، وليفيض عليه مواهب الروح القدس .

وارتفعت أصوات الدعاء : اللهم ألبسه حلة مجدك المقدسة ، وضع على رأسه تاجا وامسحه بدهن الفرح ، ليرفع القرابين عن جهالات شعبك ، وينتشلهم من فخاخ الخطيئة ، ويردهم إلى حظيرتك المقدسة .. اللهم امنحه روح قدسك ليحل كل وثاق ربطه العدو بالخطيئة .

وقرأ البابا الإنجيل وردد : « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .. أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى .. وأنا أضع نفسى عن خرافى .. ولى خراف أُخرَى ليست فى هذه الحظيرة ، ينبغى أن آتى بها أيضا ، فتسمع صوتى ، وتكون رعية واحدة لراع واحد .

هذا هو البابا ..

وهو أكثر من ذلك ..

فى صلوات الكنيسة يرددون فى القداس الإلهى : اذكر يارب رئيس كهنتنا البابا البطريرك ، وحفظا احفظه سالما يارب لنا سنين عديدة وأزمنة ، مكملا رئاسة الكهنوت المقدسة التى ائتمنه عليها من عندك كإرادتك المقدسة ، صلوا من أجل رئيس كهنتنا البابا .. بابا ورئيس أساقفة المدينة العظمى الاسكندرية ..

وفى صلوات أسبوع الآلام يتضرعون : من أجل حفظنا تحت اليد العالية المقدسة التى لك ، نطلب إليك أن تبقى لنا وعلينا حياة أبينا المكرم البابا البطريرك .

وهكذا فى كل صلاة .. تصلى الكنيسة للبابا البطريرك من أجل « وضعه الإلهى » .. وحين يسافر تقام الصلوات « لكى يحيطه إلهنا بملاك السلامة

وينعم لنا بقدومه بكل فرح » .. وفى الألحان : « إله السماء يخضع أعداءه جميعا » .. هذا هو البابا البطريرك .. وأكثر من هذا ..

للبابا ألقاب فى الطقس الكنسى تفوق الحصر ..

فهو بابا وبطريرك وسيد ورئيس أساقفة المدينة العظمى الاسكندرية .

وهو المثلث الطوباوى .. أب الآباء .. راعى الرعاة .. رئيس رؤساء الكهنة .. خليفة القديس مار مرقس .. حبيب المسيح ..

وهو الطوباوى الأقدس ، الكلى الإكرام ، أبونا ، ومولانا ، وسيدنا ، بابا وبطريرك المدينة العظمى الاسكندرية وليبيا والخمس مدن وأثيوبيا وأفريقيا وآسيا وبلاد المهجر .

وهو ثالث عشر الحواريين (الرسل) .

وهو قاضى المسكونة .

وهو المكرم ذو الذكر الحسن ، الراعى المحب للإله ، ذو الفهم الداودى (أى له فطنة النبى داود) ، والتعاليم الصالحة ، وذو حكمة سليمان .

وهو النائل نعمة موسى ، وكهنوت ملكى صادق ، وشيخوخة يعقوب ، وطول عمر متوشالخ ، والفهم المختار لدواد ، وحكمة سليمان ، والروح الذى حل على الرسل .

وهو المدبر الثابت . السراج المنير . منادى الأرثوذكسية . معلم القطيع . الناطق للمسيح .

هذه هى مكانة البابا ، وموقعه .

وهكذا يتردد ذكره والدعاء له فى الصلوات فى الكنائس والأديرة واللقاءات الدينية ، وفى الألحان والتراتيل ، وعلى ألسنة الأساقفة والمطارنة والشمامسة والشعب .

□□□

وفى يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١ صدرت وثيقة تقليده بعد أن وقَّع عليها جميع أعضاء المجمع المقدس ، كما وقَّع عليها بطريرك السريان الأرثوذكس ، وبطريرك الأرمن الأرثوذكس وجاء فيها :

« نعلن لشعوب المسكونة كلها ، ولشعب الكرازة المرقسية واكليروسها ، ورهبانها ، فى جمهورية مصر العربية ، ومدينة أورشليم القدس ، والامبراطورية الأثيوبية ، وجمهورية السودان ، والنوبة ، وبلاد أوغندا ، وكينيا ، وجنوب أفريقيا ، وأقاليم شمال أفريقيا ، والمملكة الأردنية ، وكل بلاد فلسطين ، ولبنان ، والكويت ، وقارات آسيا وأوربا ، وأمريكا الشمالية ، واستراليا .. أنه فى هذا اليوم المبارك قد تمت بنعمة الله ترقية الحبر الجليل ، والأسقف الطوباوى المكرم ، والأب المجمل بالفضائل الروحانية ، والسيرة الطاهرة النقية ، والعالم بحقائق الديانة المسيحية والتعاليم الأرثوذكسية وجميع الطقوس الكنسية وعلوم الشويعة المسيحية نيافة الأنبا شنودة ، وهو أسقف الكلية الاكليريكية والمعاهد الدينية والتربية الكنسية ، وتجليسه على كرسى البطريركية .. وقد صار بهذه الترقية الكنسية يحمل لقب البابا شنودة الثالث وكل أقاليم الكرازة المرقسية المائة والسابع عشر فى سلسلة خلفاء القديس مرقس الرسول ، فقد استجاب الله صلواتنا ، وقبل دموعنا وتذللنا أمامه ، ولم يشأ أن يتركنا طويلا يتامى بعد انتقال أبينا الحبيب المثلث الطوباوى والرحمات ، جزيل الوقار والكرامة البابا كيرلس السادس إلى عالم البقاء والخلود فى صباح الثلاثاء التاسع من شهر مارس عام ١٩٧١ .. » .

وبهذه الوثيقة أصبح البابا شنودة الحبر الأعظم على الحل والربط والتشريع والتقنين والرعاية والتدبير ، وعلى تدشين وسيامة درجات الكهنوت من بطاركة ومطارنة وأساقفة ، وتدشين الكنائس وعلى المؤمنين أن يحبوا باباهم ويهابوه ويحترموه ويكرموه ويخضعوا له كما فى الإنجيل : « أطيعوا مدبريكم ، واخضعوا لهم » وكما قال المسيح لرسله : « من أطاعكم فقد أطاعنى ، ومن احتقركم فقد احتقرنى » .

□□□

كيف أصبح البابا شنودة البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة المصرية .. ؟

القصة بدأت – كما يقول البابا – بعد انتقال البابا كيرلس السادس ، اجتمع المجمع المقدس لانتخاب قائمقام بطريركى ليدير شئون الكنيسة . فتم اختيار الأنبا انطونيوس مطران سوهاج وسكرتير المجمع المقدس ، فبدأ فى عقد اجتماعات للمجمع المقدس للتفكير فى طريقة انتخاب البطريرك الجديد ، فساد فى المجمع المقدس رأيان :

الرأى الأول أن يتفق الجميع على مرشح واحد .

والرأى الثانى هو إجراء انتخابات حسب لائحة انتخاب البطريرك الموضوعة سنة ١٩٥٧ والتى تم بها انتخاب البابا الراحل .

وبدأ المجمع المقدس اتباع الرأى الأول اختصارا للوقت الذى تستغرقه الانتخابات ، وعُمِل اقتراع سرى بين أعضاء المجمع ، وتمت تصفية عدد المرشحين ، وأجريت انتخابات سرية بين الأعضاء ، وجاءت نتيجة الانتخابات الأولية حصول الأنبا شنودة أسقف التعليم على أعلى الأصوات .

وبعد إعلان النتيجة اعترض بعض أعضاء المجمع المقدس على هذه الطريقة ؛ لأن بعض المرشحين الآخرين حصلوا على الأصوات القليلة ، فلم يصل المجمع إلى الإجماع .

وتقرر إجراء الانتخابات . وبدأت سلسلة اجتماعات ..

الاجتماع الأول ٢٢ مارس ١٩٧١ برئاسة القائمقام البطريركى وحضره أعضاء المجمع المقدس ، وأعضاء هيئة الأوقاف القبطية ، وأعضاء لجنة إدارة الأوقاف البطريركية ، وشكلت لجنة من المطارنة لدراسة الأسماء التى رشحها المجمع المقدس وهى ١٦ مرشحا ، واستبعدت اللجنة أربعة منهم واحد اسمه الأب كيرلس السريانى ولا يوجد راهب بهذا الاسم ، واثنان لا ينطبق عليهما أحد الشروط وهو ألا تقل مدة الرهبنة عن ١٥ سنة ، وواحد استبعدوه لأنه محب للوحدة ، وبقى بعد ذلك ١٢ مرشحا ، وأجرى أعضاء المجمع المقدس اقتراعا سريا فحصل ٥ على أعلى الأصوات كان الأنبا شنودة منهم .

وقرر المؤتمر أن يتم اختيار البابا طبقا لنصوص اللائحة بحذافيرها .

اجتمع المجمع المقدس يوم ٢٣ مارس واختار لجنة الترشيح من ٩ من المجمع المقدس و٩ من هيئة الأوقاف القبطية ولجنة إدارة أملاك البطريركية . وعقد اجتماع للجنة الترشيح يوم ٢٤ مارس وقررت فتح باب الترشيح يوم ٢٩ مارس .

أعلن الأنبا انطونيوس القائمقام البابوى اعتذاره عن عدم ترشيح نفسه « شعورا منى بقصورى عن النهوض بأعباء هذا الكرسى العظيم الذى ينوء كاهلى الضعيف بمسئولياته الضخمة » .

واللائحة تشترط فيمن يرشح للبابوية أن يكون مصريا من الرهبان الذين لم يسبق لهم الزواج سواء كان مطرانا أو أسقفا أو راهبا ، وأن يكون قد بلغ أربعين سنة وقضى فى الرهبنة ١٥ سنة على الأقل .

ومع ذلك ظهرت اعتراضات من أعضاء المجمع المقدس وممثلى الشعب فى نصوص لائحة انتخاب البطريرك

كان من الاعتراضات مثلا : هل ينتخب البابا من الرهبان فقط ، أو من المطارنة والأساقفة والرهبان والعلمانيين الذين لم يتزوجوا ؟ ، وبدأ الانقسام بقرار المجلس الملى فى الاسكندرية بأن يكون البابا من الرهبان فقط ، وأيدت القرار جماعة الإصلاح القبطى بالاسكندرية ، وكذلك دار التحرير القبطية بشبرا ورأت عدم جواز ترشيح المطارنة والأساقفة

فى المقابل صدرت نشرات تؤيد أن يكون المرشح برتبة أسقف عام . والأسقف العام فى هذه الدرجة ليعاون البابا ، وليست له كنيسة وشعب ، وكان هناك ثلاثة فقط برتبة أسقف عام ، هم الأنبا شنودة أسقف عام التعليم . والأنبا غريغوريوس أسقف عام البحث العلمى ، والأنبا صموئيل أسقف عام الخدمات .

وظهرت خلافات أخرى حول : هل تحسب مدة الرهبنة ١٥ سنة داخل الدير أو يدخل فيها سنوات العمل خارج الدير .. ؟

وخلافات حول العدد الذى يشارك فى الانتخابات .. هل يختار الشعب راعيه فيشارك أكبر عدد من الأقباط فى الاختيار أو يكتفى بأعضاء المجمع المقدس والأوقاف .. ؟

وعارض البعض فى إجراء القرعة الهيكلية ، لأنها لم تستعمل فى انتخاب البطاركة السابقين إلا ثلاث مرات فقط .. وأصر البعض على إجراء القرعة .

وعارض البعض فى الشروط الموضوعة لمن يرشح للبابوية ، وقالوا لابد

من وضع شروط جديدة تناسب القرن العشرين حيث زادت المسئولية ، وأصبحت درجة التعليم والثقافة مهمة ؛ لأن البابا عليه مقابلة الرؤساء وحضور المجامع ، ويجب أن يكون على هذا المستوى ..

وقال البعض : إن لائحة انتخاب البابا التى صدرت سنة ١٩٥٧ لم تعد ملائمة للعصر ويجب تغييرها ليكون اختيار البابا الجديد على أسس جديدة ولعصر جديد .

وظهرت مشكلة أكبر : لو أردنا تغيير اللائحة .. هل يجوز تغيير اللائحة عن طريق المجمع المقدس أو باشتراك الأوقاف والمجلس الملى أو بطرحها على جموع الأقباط لإبداء الرأى فيها ؟ .. وأهم من ذلك : هل يجوز تغيير اللائحة فى غياب البابا .. ؟

وقال فريق : إذا غيرنا اللائحة فى غياب البابا فسوف ينحاز البعض ويضع فيها شروطا تنطبق على مرشح بالذات ؛ وبذلك تكون اللائحة « تفصيل » .

وقال فريق ثان : لو انتظرنا إلى أن يعين البابا من الممكن ألا يغير اللائحة ، وفى وجوده لا يجرؤ أحد على إثارة هذه المسألة أمامه حرصا على شعوره .

وقال فريق ثالث : إن اللائحة تحتاج إلى تغيير شامل فى كل بنودها ، ومن المستحسن أن تتغير فى وجود البابا حتى لا تخضع للأهواء ، وتوضع للصالح العام وتحتاج فقط إلى بابا شجاع .. اختاروا البابا .. وصلوا إلى الله ليختار لنا الراعى الصالح الأمين الذى يرشده الله فى عمل لائحة تتناسب مع الكنيسة فى عصرها الحالى .

وانتصر هذا الرأى وسارت عملية الاختيار وفقا للائحة .. وحسمت الخلافات .

يوم ٢١ يونيو ٧١ أقفل باب الترشيح وكان عدد المرشحين ٩ قررت لجنة الترشيحات تصفيتهم إلى ٥ فقط ، ويوم ٢٩ أكتوبر ١٩٧١ أجريت انتخابات لاختيار ثلاثة من الخمسة ، واشترك فيها ٧٠٠ ناخب من المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة ووكلائها ووكلاء المطرانيات ، ووكلاء الشريعة بالمراكز والبنادر فى المحافظات ، وأعضاء المجلس الملى السابقين ، وأعضاء لجنة الأوقاف ، ولجنة إدارة البطريركية ، والوزراء السابقين ، والصحفيين ، و ١٢ من كل إيراشية .

وظهر رأى بإرجاء الانتخابات .

واجتمع المجمع المقدس ٥ ساعات لبحث الموضوع وقرر الاستمرار فى الانتخابات ..

وأجريت الانتخابات بحضور مندوب من وزارة الداخلية وكانت النتيجة : حصل الأنبا صموئيل على ٤٤٠ صوتا .

وحصل الأنبا شنودة على ٤٣٣ صوتا .

وحصل القمص ثيماوس المقارى على ٣٠٦ أصوات .

وبقيت القرعة الهيكلية لتعلن اختيار الله ..

وفى يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧١ السادسة صباحًا أقيمت « صلاة باكر » وفى السابعة صباحا حضر عدد من الأساقفة الصلاة ، وحضرها أيضا وفد من أثيوبيا ، وفى الثامنة صباحًا حضر قائمقام البطريرك وسجد أمام الهيكل

الرئيسى ، ودخل إلى الهيكل ليلبس ملابس القداس الرسمية ، وبدأت الصلوات ، وامتلأت الكنيسة بالمصلين وتجمعوا حول الكاتدرائية ، وفى الصف الأول جلس وزراء ورجال من السلك الدبلوماسى ، وجاءت اللحظة الحاسمة :

فى اللحظة الحاسمة وقف قائمقام البطريرك على المنصة ومعه صندوق من الفضة وقال للحاضرين : « بنعمة الله ستلقى القرعة اليوم لاختيار المنتخب من الرب ، وسأريكم الثلاث ورقات .. ورقة .. ورقة .. مختومة من الجانبين بختمى وختم رئيس لجنة الانتخاب .. الورقات بحجم واحد ومكتوبة بخط واحد . سأطبق كلّ ورقة أمامكم وألفها بشريط صغير ، وسأضع الثلاث ورقات فى العلبة الفضية وأقفلها أمامكم بالشمع الأحمر واختمها بخاتمى ..

وبعد أن تم كل ذلك قال للجميع :

« نحن شعب لنا نظرة العيون .. أما الله فهو يفحص القلوب .. ويختار ما يريد »

ثم قال :

« نصلى إليك يارب ونرفع قلوبنا فى هذا اليوم وصلوا معى لكى يعمل الرب ما فيه الخير ويختار لنا الراعى الصالح » .

ثم حمل الصندوق الفضى ووضعه على المذبح .

ورتّم المرتّلون .. وصلى أحد كهنة أثيوبيا باللغة الأمهرية .. ثم قرأ الأنبا أنطونيوس الإنجيل باللغة القبطية ، وفسره أحد الشماسة باللغة العربية إلى

الآية : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت .. » .

وألقى قائمقام البطريرك كلمة .. « أن نكون يدا واحدة متكاتفين متحابين .. فلنصرخ قائلين : فلنختف يارب ولتظهر أنت وحدك » ..

وأحضر مطران أم درمان أربعة أطفال لا يتجاوز عمرهم ٥ سنوات وأدخلهم إلى الهيكل بعد أن سجدوا أمامه استعدادا للتناول عن الأسرار الإلهية المقدسة ..

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا ..

وانتهى القداس والتناول فى العاشرة والنصف .. وتقدم قائمقام البطريرك ليختار الطفل الذى سيسحب الورقة التى تحمل اسم البابا الجديد .. فنظر إلى فوق ومد يده فوقعت على الطفل أيمن منير ، وحمل القائمقام الصندوق الفضى ووقف على المنصة ورفع العلبة أمام المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب ، وحمل أحد الشمامسة الطفل أيمن إلى أعلى ، وعصبوا عينيه بشريط أحمر .

وبدأ الحاضرون يكتمون أنفاسهم ويصلون ..

وحرك القائمقام العلبة فى كل الاتجاهات لتختلط داخلها الأوراق ..

ثم بدأ يفتح الأختام والشريط ..

وقال للحاضرين : صلوا جميعا يارب ارحم .. كيرياليسون ..

ثم أخيرا الصلاة الربانية ..

وأمر الطفل أن يسحب ورقة من الصندوق .. أخذها القائمقام وفتحها

وأصوات ضربات القلوب تدوى من شدة الصمت .. وقرأ : نيافة الأنبا شنودة :

وفتح الورقتين الباقيتين وقرأهما ..

وانطلقت الأجراس ..

وهلل الحاضرون وأخذوا يطوفون حول الكاتدرائية ..

وكان الأنبا شنودة فى هذه اللحظات وحده فى الدير وليس لديه تليفون ، وقام أحد الأساقفة بالاتصال بتليفون باستراحة « الرست هاوس » وقال لمن رد عليه : أرجوك اذهب إلى الدير وأبلغ قداسة البابا شنودة ..

□□□

ودفعنى جلال هذا الموقف أن أسأل قداسته عمّا فعله عندما أبلغوه ، فقال :

بكيت لأنى شعرت بالمسئولية العظيمة التى ستقع على كاهلى .

وسار موكب يضم عشرات السيارات تتسابق : من يصل أولا ليستقبله البابا الجديد ؟

أما المجمع المقدس فقد عقد اجتماعا ووقع على المحضر الرسمى للقرعة الهيكلية ، ثم غادروا الكاتدرائية إلى الدير للقاء البابا الجديد وإبلاغه رسميا بنتيجة الاختيار الإلهى .

وصلى البابا شنودة صلاة الشكر فى كنيسة الدير مع الوفود التى حضرت .. ورتل الشمامسة ألحان الفرح ..

وتناول الجميع طعام الغداء فى الدير .

ووصلت إلى الدير رحلة تضم مئات من الرجال والسيدات .. وطلبوا من البابا الجديد أن يسافر معهم إلى القاهرة ليلتقى بشعبه قبل أن ينتقل الشعب إلى الدير ..

فى الخامسة مساء غادر الأنبا شنودة الدير ليصبح البابا رقم ١١٧ .

وجاء حفل التنصيب يوم الأحد ١٤ نوفمبر .

وأذيع الاحتفال بالراديو والتليفزيون على الهواء مباشرة .

ولبس الأنبا شنودة تاج البابوية وسط تراتيل المرتلين وتسلم الصليب وعصا الرعاية .. مع كلمات كبير الأساقفة : « تسلم عصا الرعاية – من يد راعى الرعاية الأعظم يسوع المسيح لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحيية ، فقد ائتمنك على نفوس رعيته ومن يديك يطلب دمها ..

فيقول المرتلون : اكسيوس – مستحق

وينطلق البخور ..

ثم يصعدون به إلى كرسى الرياسة ..

وفى مقدمة الحاضرين مندوب رئيس الجمهورية وحضر رئيس الوزراء بنفسه (الدكتور محمود فوزى) ورئيس مجلس الشعب (حافظ بدوى) .

ونائب رئيس الوزراء (الدكتور عبد القادر حاتم) ومندوب شيخ الأزهر .. وعدد كبير من الوزراء والمسئولين ..

ويقول البابا شنودة :

كان احتفال التنصيب يمثل وحدة شعب مصر .. لم يحضره الأقباط

وحدهم ولكن حضره المسلمون أيضًا ..فى كل مناسبة نحن والمسلمون معا لا نفترق ..

□□□

أحسست بتأثر قداسة البابا عند استعادته ذكرى تلك اللحظات الحاسمة ، فحاولتُ أن أخفف عنه .. سألته :

وماذا تعلمت من الحياة يا قداسة البابا .. ؟

قال : تعلمت أن أستفيد من كل خبرات الحياة .. من محبة المحبين ، وأيضا من عداوة الأعداء ، وتعلمت أن الحياة الحاضرة هى مجرد إعداد لحياة دائمة .. فلماذا لا نجعل حياتنا الدائمة سعيدة بالعمل الصالح .. وتعلمت أن كل ما أقوله أو أفعله يجب أن أحسب له ردود الفعل والنتائج أولا .. فعل الخير يجب أن يكون خيرا فى أهدافه .. وفى وسائله .. وأيضا فى نتائجه وردود أفعاله ..

وأسأل البابا شنودة عن لحظات لا ينساها فيقول :

هذه اللحظات كثيرة ..

نحن نعارض استيلاء إسرائيل على أراضى وحقوق الفلسطينيين ونرفض مخططها فى القدس ، ونرفض زيارة الأقباط للقدس إلاّ بعد تسوية وضعها بما يرضى جميع الأطراف بما فيها الفلسطينيون ..

ونحن نشارك فى كل المناسبات الوطنية .. ولا أنسى لحظة شاركت فى عودة مدينة العريش يوم ٢٦ مايو ١٩٧٩ ، أو لحظة رفع العلم المصرى على طابا فى ١٩ مارس ١٩٨٩ ، أو لحظة استقبال الرئيس مبارك بعد نجاته من محاولة الاعتداء الآثمة فى أديس ابابا يوم ٢٥ يونيو ١٩٩٥ ، أو

زيارتى لجبهة القتال يوم ٢٤ مارس ١٩٧٤ بعد انتهاء القتال ولقائى مع الجنود والضباط .. ولا تنس أننى كنت ضابطا فى القوات المسلحة بسلاح المشاة سنة ١٩٤٧ وهذه الفترة أثرت فى تأثيرا كبيرا ..

□□□

وماذا عن الصمت فى فلسفة قداستك .. ؟

يجيب قداسة البابا ..

ليس كل صمت فضيلة ، ولا كل كلام خطيئة ، كلا بالطبع ، إن الصمت حالة سلبية ،بينما الكلام حالة إيجابية ، وإنما يدرب الناس أنفسهم على الصمت حتى يتدربوا على الكلام النافع ، الصمت إذن هو وضع وقائى ، والمهم أن نحسن الصمت ونحسن الكلام ، فأحيانا ندان ونندم على الصمت ، وأحيانًا أخرى ندان ونندم على الكلام ، ذلك أن لكليهما وظيفة يصبح خلالها الصمت نوعا من الكلام .. »

وليس كل ما يصل إلى أذنيك صدقا خالصا ، فلا تتحمس بسرعة لكل ما تسمع ولا لكل ما تقرأ ، بل تحقق أولا ، وأعرف أن كثيرا من الكلام يقطع رحلة طويلة قبل أن يصل إلى أذنيك » .

وهكذا يحدد البابا شنودة فلسفته فى الحياة وأسلوبه فى التفكير والتعامل مع الناس .

ويضيف إلى ذلك : أن المسيح يقول « إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجبا الحكم » . أى أن الغضب يتساوى مع القتل ، فالإنسان الغضوب لا يقبل الله صلاته وقربانه ، وكما قال القديسون « إن الذى يصوم عن الغذاء ولا يصوم قلبه عن الغضب والحقد ويصوم لسانه عن الباطل .. فصومه باطل . ويردد البابا قول أحد القديسين :

« احذر الغضب لأنه يظلم العقل .. إن الغضب أبو الجنون » .

ويضيف البابا شنودة :

إن الغضب يقتل الفكر ، لأنه يذبح الحوار ، ويقتل الموضوعية ، وبغيرهما لا يصل العقل إلى درجة السمو التى تليق به ..

ويضيف قداسة البابا ..

.. قبل أن تحكموا .. وقبل أن تغضبوا .. ابحثوا عن الحقيقة .. والبحث عن الحقيقة يتطلب التواضع بالانصات إلى الآخرين والحوار معهم .. احذروا الغضب الباطل .. فهو انغلاق على الذات .. وتوهم اكتمالها واكتمال معرفتها واكتمال صوابها .

إن المسيح يقول : « لا تدينوا لكيلا تدانوا » .. فليس لإنسان أن يغتصب منصة القضاء ويحكم على غيره بالإدانة .

ويقول لأبنائه ..

احذروا ما وقع فيه الآخرون فى العصور الأوربية حين أقاموا « محاكم التفتيش عن الضمير » .

واحذروا الإدانة بالفكر واللسان .. احذروا الغيبة والتشهير حتى بالسماع الصامت ..

ولشدة اهتمامه بالموضوع قام بتأليف كتاب بعنوان « إدانة الآخرين » .. ينتهى فيه إلى أن إدانة الآخرين خطأ كبير .. والغضب هو أشد خطر يطفئ العقل الذى يضئ بنور الله .

البابا شنودة ضد التطرف فى كل شىء .. يحذر أبناءه من التطرف فى

العبادة ويقول لهم : « إن التطرف فى الطريق الروحى غير مقبول سواء كان فى الكلام أو السلوك ، فالمبالغة نوع من الكذب ، وهى التى تقود إلى التطرف » . ويقول لهم أيضًا : « إن الهدف النبيل لا يمكن أن يتحقق إلا بوسيلة نبيلة » .

□□□

والبابا شنودة يذكر دائمًا أن التى احتضنته وأرضعته عقب وفاة أمه كانت سيدة مسلمة جارة للأسرة وصديقة للأم الراحلة .. ويبدو أن مشيئة الله هى التى نسجت هذه الحادثة لكى تكون رسالة من الله إلى شعب مصر .. رسالة تقول : إن الله اختار مصر لتكون أرضا للسماحة والإخاء الدينى .. وليكون الرمز الحى الذى يجسد معنى الوحدة الوطنية هو البابا شنودة نفسه .. بابا الإسكندرية وبطريرك الكنيسة المرقسية ، ورأس الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر وإفريقيا .

ولكن البابا لا تربطه فقط هذه العلاقة الوجدانية القوية بالإسلام ، بل هو دارس له أيضًا .

يقول البابا شنودة :

كنا أيام الدراسة ندرس الإسلام فى مقرر التاريخ ، وكنت فى مدارس الأحد ولم تكن هناك أية تفرقة بين المسيحى والمسلم ..كنا نستذكر التاريخ الإسلامى كمادة مقررة ..

ولكنى قرأت القرآن فى هذه الفترة ، وقد أثر القرآن على لغتى ، وبعد ذلك كنت معجبا بمكرم عبيد كرجل فصاحة ولغة ، ومعروف أن مكرم عبيد قرأ القرآن ودرسه وحفظه ، وكان من كبار الخطباء البلغاء فى عصره ،

ومازلت أذكر له عبارة يقول فيها : « الرجل الحق هو الذى يتطور دون أن يتغير ، ويكبر دون أن يتكبر ، ويحتفظ بثباته فى وثباته » . وفى تهكمه على ديوان المحاسبات أيام أمين عثمان فيقول إنه تحول إلى « ديوان محاسيب » ويقول : « وماذا يضير الحسيب من أن يصير حسِّيبًا ، والفرق بينهما شدّة تنفع فى الشِّدَة » أى فى وقت الشدة .. وهكذا قادنى إعجابى بمكرم عبيد إلى قراءة القرآن ..

قلت : بالمناسبة .. أعرف أن بينكم وبين فضيلة شيخ الأزهر علاقة صداقة حميمة .. ؟

قال : طبعا .. وبدأت على يديك .. وقد عشت معنا كل مراحلها .. وحضرت أكثر لقاءاتنا .. تذكر حين زرته فى دار الإفتاء وكان يتولى منصب المفتى .. ورأيت فيه روحانية وإيمانا عميقا ومحبة صادقة .. زرته وقدمت له هدية تفسير القرآن لابن كثير بكل أجزائه .. ورد لى الزيارة .. وصارت صداقة .. وأشعر معه بتقارب فكرى .. فهو شخصية محترمة وعالم كبير ويتمتع بقدر عظيم من التسامح .. والعلاقة بينى وبين الإمام الأكبر تترك أثرها الطيب على علاقات المسلمين والمسيحيين فى مصر ..

الدكتور طنطاوى طيب القلب .. ونزيه .. وبسيط .. وودود .. تشعر معه بمودة من أول لقاء .. نحن نجلس دائما متجاورين فى اللقاءات الرسمية وتكون هذه فرصة نتحدث فيها بمودة .. وهو يزورنى وأزوره دائما .. ونجلس معا نتبادل الفكاهات وأحاديث الأدب وأبيات الشعر .. وقد سافرنا معا إلى أبو ظبى لحضور مؤتمر عن القدس ولفت نظر الحاضرين أننا معا

أصدقاء ، ونحن دائما فكر واحد ، ولم يحدث أن وجدت اختلافا فى أفكارنا .. المؤمنون بالله لا يختلفون .. وقد أصبح من المعتاد أن ندعى معا فى اللقاءات والندوات .. آخرها فى الأهرام فى ندوة عن رأى الدين فى حماية البيئة واتفقنا فى كل شىء .

وأنا أحب أن استمع إليه .. فهو يحفظ القرآن كله .. ويسرد عن ظهر قلب كل الآيات التى وردت فى القرآن فى كل موضوع .. وهذا يعطى لحديثه عمقا ومصداقية .. ويجذبنى إليه حديثه الروحى .. وأتابع أحاديثه فى التلفزيون فى برنامج « حديث الروح » .. أنا أشعر من قلبى أن شيخ الأزهر نقى ومستعد لأن يساعد كل إنسان بإخلاص لمرضاة الله وليس لمرضاة البشر ..

قلت : وعلاقتك بالشيخ الشعراوى .. ؟

وضحك البابا شنودة وهو يقول :

– علاقتى به بدأت بالاختلاف .. سمعت أنه يثير الأقباط فى أحاديثه فى التلفزيون .. وعرفت بعد ذلك أنه مريض يرقد فى مستشفى فى لندن ، ووجدت مشاعرى معه وأحسست بالقلق عليه ، فاتصلت ببعض الكهنة المصريين فى لندن وطلبت منهم أن يقوموا بزيارته بالنيابة عنى ، واتصلت بالطبيب المعالج وهو مصرى قبطى أعرفه جيدا وأوصيته أن يبذل أقصى ما يستطيع ويتفرغ لعلاج الشيخ الشعراوى .. وعندما عاد بالسلامة إلى مصر زارنى وقال لى : أولادك هناك طوقوا عنقى ..

ثم دخل فضيلته المستشفى فى مصر فقمت بزيارته وتبادلنا أحاديث ودية ربطت بيننا ..

وعندما توفى إبراهيم فرج اتصل بى السيد فؤاد سراج الدين وطلب أن تكون الصلاة على الجثمان فى الكاتدرائية ، وأبلغته أنى سأقوم بأداء الصلاة .. وحضر الشيخ الشعراوى إلى الكنيسة وحضر الصلاة ، والقيت كلمة بعد الصلاة قلت فيها : إن داود النبى عندما حضره الموت أوصى ابنه سليمان وقال له : يا بنى أنا ماض فى طريق الأرض كلها فتشدد وتشجع وكن رجلا ، وهكذا نحن جميعا ماضون فى طريق الأرض كلها ، وتذكرت أبياتا من الشعر الذى أكتبه قلت فيها :

لست أدرى كيف نمضى أو متى
كل ما أدريـــه أنا سوف نمضى
فى طريق المـــوت نجرى كلنا
فى سباق .. بعضنا فى إثر بعض
كبخار مضمحل عمرنا
مثل برق سوف يمضى
مثل ومض ..
يـــا صديقـــى كن كما شئت إذن
وامض فى الآفاق من طول لعرض
ارض آمالك فى الألقاب أو ارضها
فى المال أو فى المجد ارض ..
آخر الأمـــر ستهـــوى مجهدا

obeikandl.com

راقدا فى بعض أشجار بأرض

يصمت القلب ويبقى هادئا

لم يعد فى القلب من خفق ونبض

ما ضجيج الأمس فى القلب إذن ؟

أين بركانه من حب وبغض ؟

ولما انتهى الجناز عدنا معا ، فلم يجد سيارته ، فطلبت منه أن يجلس معى إلى أن تأتى السيارة من زحام السيارات .. وجلسنا نتحدث أكثر من ساعة .. طلب منى أن أتلو عليه الأبيات مرة أخرى .. ثم طلب منى أن أقول له بعض أشعارى .. وأهديته نسخة من ديوان « انطلاق الروح » الذى يضم بعض أشعارى .. وبدأنا نتجول فى هذا الديوان قصيدة بعد أخرى ..

ووجدت أن الشيخ الشعراوى هو أيضا شاعر رقيق جدا .. وحين التقيت به مرة ثالثة فى القصر الجمهورى ونحن نهنئ الرئيس مبارك بنجاته من مؤامرة أديس أبابا قال لى الشيخ الشعراوى : لقد قرأت كتابك كله ، وأعجبنى وما وجدت فيه كلمة تخالف الإسلام .. فقل لى آخر قصيدة كتبتها .. قلت له : آخر قصيدة لم أكتبها بعد ، لعلك تقصد أحدث قصيدة وهى بعنوان « مشاعر » أقول فيها :

لكنها مشاعر تمكث دائما معى

تسكن فى حشاشتى .. فى مهجتى .. فى أضلعى

مشاعر تتبعنى فى صحوتى .. فى مضجعى

تظهر فى ابتسامتى .. فى ضحكتى .. فى أدمعى

تجرى دواما فى دمى

تمكث أعى أو لا أعى

كم مرة قلت لها عنى بعيدا وارجعى

لكنها مشاعر تمكث دائما معى

تجرى دواما فى دمى كنت أعى أو لا أعى

فامتدح هذه الأبيات .. ومنذ ذلك الحين ونحن نتقابل باستمرار فى مودة .. ونتبادل أحاديث المحبة معا ..

قلت : أعرف أنكما تبادلتما الهدايا فى أول لقاء ..

قال :

– نعم .. أهدانى عباءة .. وأهديته كتاب لسان العرب لابن منظور وقلت له : فضيلتك دارس وأستاذ للغة العربية ، فهذا كتاب فى اللغة له مكانته .

قلت : وبعد .. ؟

قال :

المحبة دائما تنتصر وليس العداوة ..

كذلك تربطنى صداقة مع وزير الأوقاف الدكتور زقزوق وهو مفكر وله دور فى حوار الأديان ..

وأنت تعرف أن بينى وبين القيادات الإسلامية صداقة قوية ، ويكفى

أن تذكر المحبة التى تجمعنا فى شهر رمضان على مائدة البطريركية .. كان الحاضرون مائة فى أول عام أقمنا فيه إفطار رمضان ، وفى كل سنة يزداد العدد حتى ضاقت القاعة ، فأقمنا إفطار رمضان فى العام الماضى فى ساحة الكاتدرائية وحضره مئات .. رئيس الوزراء ..ورئيسا مجلسى الشعب والشورى .. والوزراء .. ورؤساء الهيئات القضائية .. والمحافظون .. ورؤساء الأحزاب .. والشخصيات العامة .. لقاء يحتشد فيه الجميع مسلمون وأقباط فى محبة .. مثل هذا اللقاء بهذه الروح لا تجده فى أى مكان فى العالم ..

.. وهكذا يفكر ويعمل البابا .

□□□

obeikandl.com